P-ISSN: 2442-6520, E-ISSN: 2964-3449
https://ojs.stiudarulhikmah.ac.id/

MENGKRITIK TUDINGAN ABAD KE-14 HIJRIYAH TENTANG SUMBER AL-QURAN MELALUI KITAB ULUMUL QURAN KONTEMPORER `

Critizing The Suspicions of The Fourteenth Century AH About The Source Of the Quran thourgh Contemporary Books on Qur'anic Studies

نقد شبهات القرن الرابع عشر الهجري حول مصدرية القرآن
من خلال كتب علوم القرآن المعاصرة

Muhammad Abdul Aziz[1]
[1]Mahasiswa WISE University, Amman, Yordania
abdulaziz.syamsalis@gmail.com

Abstract
This study aims to identify some of the suspicions of the fourteenth century AH about the authenticity of the Qur'an, which come from the tongue of atheists and orientalists, and criticizing them through the books of contemporary Qur'anic studies. This study used the critical and analytical method, so the study will look at the value of these suspicions and the extent to which contemporary Quranic study books are concerned with these issues. This study, after analysis, installation and evaluation, concluded that the suspicions of the fourteenth century AH have no strong scientific value, but were invalidated by scientists with convincing and satisfactory arguments based on mental, transmission and historical evidence.

Keywords: *suspicions, source of the quran, contemporary.*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض شبهات القرن الرابع عشر الهجري حول مصدرية القرآن وهي تأتي من لسان الملاحدة والمستشرقين، وإلى نقدها من خلال كتب علوم القرآن المعاصرة. واستعملت هذه الدراسة المنهج النقدي والتحليلي، وذلك فإن الدراسة ستتطلع قيمة هذه الشبهات وما مدى اهتمام كتب علوم القرآن المعاصرة بهذه القضايا . واستنتجت هذه الدراسة بعد التحليل والتركيب والتقويم، على أن شبهات القرن الرابع عشر الهجري ليس لها قيمة علمية قوية، بل أبطلها العلماء بحجج مقنعة ومرضية بالأدلة العقلية والنقلية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: شبهات، مصدرية القرآن، المعاصرة.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فإن القرآن الكريم هو كتاب مقدس لدى المسلمين، وهو ينزل من عند ربهم. ولكنه مع ذلك لم يسلم من شبهات الغافلين الذين قالوا افتراءات عن القرآن ليلا ونهارا. فمن تلك الفكرة، جاءت هذه الدراسة وهي تعالج شبهات القرن الرابع عشر الهجري حول مصدرية القرآن في منظور كتب علوم القرآن المعاصرة، والله ولي التوفيق.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعالج بعض الشبهات الخطيرة التي أثيرت حول مصدرية القرآن في العصر الحديث، والسبب في إثارتها يرجع إلى محاولة أعداء الإسلام الذين بذلوا جهودهم في تشكيك أبناء المسلمين في صحة القول بأن القرآن من عند الله تعالى لا غيره سبحانه ، فالكتب المعاصرة –أي كتب علوم القرآن– تحتوي على نقد هذه الشبهات لا سيما شبهات العصر في مصدرية القرآن، فجهود هؤلاء المؤلفين المحدثين مشكورين ومأجورين إن شاء الله. فجمع الانتقادات والأجوبة على هذه الشبهات من كتب علوم القرآن المعاصرة في بحث واحد يمكننا أن نطلع إلى شبهات العصر حول هذه القضايا التي قد عالجتها هذه الكتب ومالم تعالجها.

مشكلة الدراسة: وجاءت هذه الدراسة لتجيبَ عن السؤال الرئيس الآتي:

ما قيمة شبهات القرن الرابع عشر الهجري حول مصدرية القرآن التي اشتغلوا بها كتب علوم القرآن المعاصرة؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما السبب في إثارة شبهات العصر حول مصدرية القرآن؟
2. ما هي كتب علوم القرآن المعاصرة التي عالجت هذه هذه القضايا ؟
3. ما هي شبهات العصر حول مصدرية القرآن وما هي ردود كتب علوم القرآن المعاصرة عليها؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف بأسباب إثارة شبهات العصر حول مصدرية القرآن.
2. الوقوف على كتب علوم القرآن المعاصرة التي عالجت هذه الشبهات.
3. بيان شبهات العصر حول مصدرية القرآن و بيان كيفية استدلال العلماء المحدثين في نقدها.
4. معرفة جهود العلماء المعاصرة في نقد الشبهات حول قضايا علوم القرآن.

الدراسات السابقة: لقد كُتبت في الدفاع عن القرآن من الشبهات دراسات عديدة ومختلفة الجوانب، منها. :

ومن هذه الدراسات في الدفاع عن القرآن الكريم :

- علم الانتصار للقرآن وموقعه بين مباحث علوم القرآن للدكتور عبد الرحيم عمر الشريف وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة التبيان عدد 13 عام 1434هـ/2012م، وهذه الرسالة تتحدث عن أهمية الدفاع عن القرآن من الشبهات، كما أن هذه الرسالة تحث على تأسيس علم مستقل الذي اهتم بتفنيد الشبهات حول القرآن وهو علم الانتصار للقرآن. وهذه الرسالة أيضا تتحدث عن تاريخ الشبهات حول القرآن من الصدر الأول ورجالها حتى استمرت هذه الجهود على أيدي المستشرقين مثل: نولدكه وغيره كثير.
- شبهات حول الوحي للباحثة د. سامية بنت عطية الله المعبدي، وقد نشر هذا البحث في مجلة الجامعة العراقية العدد 3/40 سنة 2018م.

فوجدنا أن موطن الخلاف أو الفرق بين هذه الدراسة وما قبله أن هذه الدراسة تقتصر في الكلام عما يتضمن الكتب الثلاثة فحسب، بينما البحث عند د. سامية هي الشبهات على العموم، فلذلك إني أحاول في هذه الدراسة أن آتي من باب الجمع لا من باب الجدة والابداع –لسبب قصر علمي ومعرفتي– لِمَا كان مضمون هذا البحث قد كتبه العلماء المحدثون مبعثرةً في بطون كتب علوم القرآن عندهم.

محددات الدراسة: سأقتصر هذه الدراسة على ثلاثة كتب علوم القرآن المعاصرة فحسب، وهي الكتب التي نالت القبول عند الأمة الإسلامية، علماءً وطلابا وباحثين، وفي نفس الحال فإن هذه الكتب الثلاثة أخذوا نصيبا وافرا في قضية شبهات العصر حول مصدرية القرآن ونقدها، وهذه الكتب كما تلي:

- مناهل العرفان في علوم القرآن للمؤلف عبد العظيم الزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن للمؤلف صبحي صالح.
- إتقان البرهان في علوم القرآن للمؤلف فضل حسن عباس.

خطة الدراسة: اشتملت هذه الدراسة على ملخص ومقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة كالآتي:

أولًا: ملخص الدراسة.

ثانيًا: المقدمة.

ثالثا: منهجية البحث.

رابعًا: مباحث الدراسة، واشتملت على ما يأتي:

1. التمهيد، واشتملت على ما يأتي:

– أهمية النقد في العلم.

– خطورة الشبهات حول علوم القرآن.

2. الأسباب في إثارة الشبهات.
3. عرض الشبهة ونقدها عند مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني.
4. عرض الشبهة ونقدها عند مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح.
5. عرض الشبهة ونقدها عند إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل عباس.

خامسًا: الخاتمة، وفيها النتائج العلمية.

قائمة المراجع.

منهجية البحث

يخضع البحث لمنهجين:

- المنهج التحليلي: وذلك يقوم بتركيب الإشكالات المختلفة و تفكيك أفكار المؤلف في كتابه وإرجاع العناصر إلى أصولها وكذلك والحجج الفكرية المتناثرة في ذلك الكتاب ليستخرج منها النتائج العلمية والقيم الفكرية لدى صاحب الفكرة.
- المنهج النقدي: وفي المنهج النقدي التقويم للمسألة التي تُدرس في الدراسة، والحاصل قد تكون هذه المسألة تظهر سلبيتها أو إيجابيتها. فهذا البحث سوف يتطلع -باستعمال المنهج النقدي- هل المسائل التي تُدرس لها أكثر من سلبية ولا إيجابية.

مباحث الدراسة

تمهيد

المطلب الأول: أهمية النقد في العلم.

إن نشأة فن من فنون العلم لازم أن لا تخلو من ظاهرة النقد، ذلك لأن النقد دائما يوسع دائرة المباحث أو الفروع في أي فن من فنون العلم، وهذه الظاهرة -أي النقد- أمر حتمي لما فيه من أغذيةٍ تعافي أجسام الفن من الأمراض التي تخاف منها إماتة هذا الفن. وهذه الأغذية قد تكون في نقاش علمي بين مذهب معين وبين الآخر، أو تكون في خصومة بين أصحاب العلم وبين أعداءهم، أو بعبارة أخرى فإن وقود الحركة العلمية في أي فن من الفنون فإنما هي بالنقد.

بل في البيئة الإسلامية منذ قرون، النقد يقوم مقام التحصين وهو يدافع عن العلوم الإسلامية -ولا سيما عن قضية من قضايا علوم القرآن-، وهذا هو الجاحظ الذي عاش في القرن الثاني الهجري كان يمثل هذا الدور المهم، وإنه في عدد من كتبه كَتَب النقد والردود تجاه طعن الطاعنين -أكثرها في كتاب الحيوان و كتاب البيان

والتبيين-، فالجاحظ قد دافع عن العربية والرد على الشعوبيين الذين أرادوا أن ينالوا منها.[1] وهذه الجهود الذي قام بها الجاحظ ليس إلا لأن يدافع عن القرآن مع أنه يدافع عن العربية، وذلك بالقطع أن القرآن نزل باللغة العربية وأساليبها، فالدفاع عن العربية دفاع عن القرآن، وهذا هو عمل النقد عند الجاحظ.

وبعد الجاحظ جاء في القرن الثالث الهجري إمامٌ من أئمة أهل السنة الجهابذة وهو ابن قتيبة الذي كان يمثل نفس الدور مع الجاحظ في عمل نقد طعن الطاعنين والدفاع عن الحق، وهو وإن كان يخالف الجاحظ وغيره من المعتزلة، فيما ذهبوا إليه من مسائل الاعتزال، فإنه يسير مع الجاحظ في قضية النقد والدفاع عن القرآن، بل إنه يجهر بذلك العمل في كلامه عن سبب تأليف كتاب تأويل مشكل القرآن ويصرح بأن قصده في تأليف هذا الكتاب هو النقد والدفاع عن حق القرآن، فقال ابن قتيبة: وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله. ثم قضوا عليه بالتّناقض، والاستحالة، واللّحن، وفساد النّظم، والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضّعيف الغمر، والحدث الغرّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور..... ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات- أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون.

فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البيّنة، وأكشف للناس ما يلبسون. فألفت هذا الكتاب، جامعا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملا ما لم أعلم فيه مقالا لإمام مطّلع- على لغات العرب لأري به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل[2] .

فبان في ذلك الكلام أهمية هذا العمل وهو النقد، بل كثير من العلماء ذكروا أهمية النقد، وهذا ابن أبي حاتم الرازي قال: فإن قيل فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله عزوجل بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة، في كل دهر وزمان[3].

فإن قلت أنه اقتصر على الحديث وعلومه فحسب فلا صحة في قولك، فإن النقد لا يقتصر عليه ذلك لأنه يحفظ جميع العلوم صحيحها من سقيمها وأصيلها من دخيلها، ولهذا ذكر المخشري بأن النقد في اللغة معناه تمييز الجيد من الرديء ؛ فالأقوال الجيدة الأصيلة في علوم القرآن مثلاً وأنت تقوم بإخراجها وخلوها وتمييزها من الأقوال الرديئة الدخيلة فإن عملك هذا يسمى النقد. وفي ختام هذا المطلب فأريد أن أقول بأنك لا تكاد تجد عصرا من العصور

---

[1] انظر: التفسير أساسيته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن 2016م، ج1 ص420.

[2] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص23.

[3] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1952م، ج1 ص2.

إلا وفيها العلماء يعملون هذا العمل لعظيم أهميته، ولا يزال في عصرنا هولاء العلماء يقومون النقد كما سيمر معنا في هذه الدراسة. والله تعالى أعلم[4].

المطلب الثاني: خطورة الشبهات حول علوم القرآن

أعداء الإسلام يحبون أن يلقوا الشبهات في العلوم الإسلامية على العموم، وفي قضايا علوم القرآن على وجه الخصوص، ذلك لأن علوم القرآن تتصل اتصالا مباشرا بمصدر التلقي الأول عند المسلمين وهو القرآن الكريم. والأغراض في إثارة الشبهات حول قضايا علوم القرآن كثيرة جدا، منها تشكيك أبناء المسلمين فيما لا ريب فيه، وهؤلاء الأعداء يسلكون طريقة التتبع؛ إما من أي آراء فاسدة، وإما من الأقوال الشاذة التي انتشرة في عدد من كتب علوم القرآن، ثم يهجمون القرآن من هذا الباب، ولهذا قال د. فضل عباس: ومن أجل هذا وجدنا أن أعداء الإسلام قديما وحديثا يحاولون البحث عن أي ثغرة مدعاة وعن أي شبهة باطلة وعن أي قضية دوّنت خطأ، لتعكير ورد هذا القرآن الصافي، وإلقاء الشبهات ليشككوا المسلمين فيما لا ريب فيه[5].

وهذه الشبهات ذو خطورة عظيمة، لأنها دائما تؤدي إلى تحريف كتاب الله، وتأويل آياته بتأويل فاسد، والقول على الله بغير علم. فرحم الله العلماء الذين بذلوا جهدهم في محاربة هذه الأمور، قال الإمام أحمد في وظيفة العلماء الربانين: ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم[6].

وفي عصرنا هذا، أعني القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، جاءت الشبهات حول علوم القرآن من أيدي المستشرقين الذين هم مجموعة من الباحثين ممن لا يعتنقون بدين الإسلام مع أنهم يدرسون القرآن، فبعضهم جاءوا بنية حسنة -إن صح التعبير- وأغلبهم جاءوا بنية الهجوم على الإسلام. وهناك طائفة أخرى قد تكون أخطر منهم، لأنهم من أبناء المسلمين ويصرحون بإسلامهم ولكنهم مع ذلك يحبون أن يلقوا الشبهات حول الإسلام -على وجه الخصوص حول قضايا علوم القرآن- باسم التجديد أو باسم محاولة النقد أو باسم القراءة الحداثية للنص الديني، فهؤلاء تأثروا بأفكار المستشرقين طبعا، بل تتلمذوا على أيديهم، فهم ينادون بالحداثيين.

حتى هذه الحركة كانت موجودة في بلادي إندونيسيا منذ أكثر من عشرين سنة، ولا تأتي هذه الحركة إلا ومعها أفكار فيها شبهات حول قضايا علوم القرآن. هذا هو الأستاذ أولى الأبصار عبد الله[7] من كبار الحداثيين

---

[4] انظر: أساس البلاغة للزمخشري دار الكتب العلمية-بيروت 1998م ج2 ص297.

[5] إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس، دار النفائس-عمان 2021م، ج1 ص32.

[6] الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، دار الثبات للنشر والتوزيع، ص 55-56.

[7] أحد رجال رابطة الإسلام الليبري الإندونيسية، وهي حركة علمية دينية في إندونيسيا تتأثر بأفكار الحداثة والاستشراق وغير ذلك.

الإندونسيين، فإنه في ندوة علمية مع منتدى الدعاة الشباب جاوى الشرقية قبل عشرة سنوات تقريبا صرح بالفكرة "الإيمان بمضمون القرآن الديني فحسب لا بمضمون القرآن التاريخي وغير ذلك " واقتضى الأمر في ذلك أنه صدّق القرآن من حيث هو نص ديني عقدي فحسب لا نص تاريخي تتضمن بيانات تاريخية، أو بتعبير أدق فإنه لا يجزم أن مضمون القرآن الذي يتحدث عن التاريخ –وأخذ الأستاذ مثالا في أخبار رفع عيسى إلى السماء– صحيح مئة في المئة، فإنه قال بأن مثل هذه الأخبار التاريخية بحاجة إلى دراسة تجريبية تاريخية لتثبت على أنه أمر واقع. فهذا ادعاء باطل، لا نقبله من قريب ولا من بعيد .

فإذا كان الأمر كما زعم الأستاذ أولي الأبصار فأين هذه الآيات؟؟ قال تعالى: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: 111]، وقال: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ} [الكهف: 13]، وقال: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42]، قال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87] فنقول إنَّ الأخبار القرآنية سواء عن التاريخ البشري القديم أو غير ذلك صدقٌ كلُّها وأنها أمور واقعة حقيقية لا كاذبة ولا خيالية ولا ينبغي أن يرتاب فيه مرتاب، لأنها إنَّما جاءت في أصحّ كتاب الذي لا ريب فيه، فهو الحقُّ وخبره الصدق.

فمثل هذه الشبهات جاءت خطورتها بوضوح في أي وسيلة من وسائل؛ في المقالة العلمية أو الجريدة اليومية حتى في الوسائل الإجتماعية، فإنها استعمرت رؤوس شباب المسلمين الذين هم مستقبل الأمة كاستعمار الأعداء بلدان المسلمين قبل مئة سنة، فلذلك قام العلماء المعاصرة ليسدوا هذه الخلل.

فشبهة القول بأن القرآن ليس من عند الله وإنما من عند محمد صلى الله عليه وسلم هي من أخطر الشبهات التي اشتغل بها علماء القرن الرابع عشر الهجري، لأن هذه الشبهة تهدف إلى استباحة قدسية القرآن، والحاقد للإسلام يريد بذلك، وفي الحقيقة ما هي قيمة هذه الشبهة؟ وما ردة الفعل التي قام بها العلماء في كتبهم؟ لذلك سيمر معنا بإذن الله ذلك الموضوع بعد هذا التمهيد.

المبحث الأول: من الأسباب في إثارة الشبهات

المطلب الأول: سبب الجهل بالقرآن

ولا شك أن في إثارة الشبهات حول هذه القضية أو قضايا علوم القرآن على العموم سبب يدعو إليها، ولا يوجد هناك أي سبب فيه أظهر من سبب الجهل بالقرآن. لأنك إذا وجدت رجلا ذا علم وإنصاف لا يمكن له أن يثير الشبهات حول القرآن من أجل أن صدق القرآن وصوابه أمر واضح بل أوضح من الشمس!!

ولكن القرآن –مع وضوح كونه على الحق والصدق والصواب– لم يسلم من شبهات الجاهلين به، فهناك من يجهل باللغة العربية ويطعن القرآن من حيث اللغة. انظر كيف أجاب الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن حينما قال قائل أن القرآن لم يكن فصيحا في اللغة لأنه قد اقترن "الذئب" باللفظ "أكل" في قوله تعالى (فأكله

الذئب)، وحجة صاحب هذا القول أن اللفظ المستعمل في مثل هذا هو اللفظ "الافتراس" وليس "الأكل" لأن الأكل لا يختص به نوع من الحيوان دون نوع، بل قال: هذا هو المختار الفصيح معناه عنده.[8] وهذا القول في حقيقته لم يأت إلا من جهالة اللغة العربية.

فأنكر الخطابي هذه الدعاوى الباطلة فقال: فأما قوله تعالى {فأكله الذئب} فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب ، وأصل الفرس دق العنق ، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلًا ولا عظماً ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياه بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه ، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى ، لم يصح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل؛ على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع.[9] وذكر الخطابي أيضا أن اقتران اللفظ "الأكل" بنوع من أنواع الحيوان معروف عند العرب، كما تقول: أكلني السبع. وهناك أشعار العرب كثيرة تشهد بذلك، وقال بعض شعرائهم:

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله

وقال آخر:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر ... فإن قومي لم تأكلهم الضَّبع[10] .

فهذه طائفة، وهناك طائفة أخرى جهلوا بعلم مرويات تفسير القرآن وأثاروا الشبهات حول القرآن من هذا الجانب. والأخرى جهلوا بأساليب القرآن الدعوية وادعوا أن القرآن لم يخاطب العقل وإنما يأتي بطريق الإقناع العاطفي الذي جاء من حيث بيانه فحسب، وهذا القول يعتبر من افتراءات الباطلة، لأن الحق يقول إن القرآن نفسه في كثير من الآيات يخاطب العقل ويقيم له البراهين المنطقية التي لا يمكن لنتائج الفلسفة على اختلاف عصوررها أن تصل إلى ما وصل إليه القرآن[11] ، وذلك مثل قوله تعالى: في المؤمنون ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ ، وفي الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ ، وفي النحل ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ ، وفي الطور ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٥ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ٣٦﴾ .

---

[8] انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن حققها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغول سلام، دار المعارف القاهرة ص38.

[9] بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن حققها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغول سلام، دار المعارف القاهرة ص41.

[10] المرجع نفسه.

[11] انظر: التفسير أساسيته واتجاهاته، د. فضل عباس، دار النفائس عمان، 2016 ج1 ص52.

ونستخلص من هذا المطلب أن سببا من أسباب إثارة الشبهات حول قضايا القرآن هو سبب الجهل بالقرآن ولن ينكر ذلك أحد.

المطلب الثاني: سبب الطعن في القرآن

وهناك سبب آخر في إثارة الشبهات حول القرآن وهو سبب الطعن يعنى أن الكاتب أو القائل في الدراسات القرآنية يضع قدماه من البداية إلى النهاية للطعن في القرآن الكريم، وهذا أمر واقع في التاريخ، فأي عمل أسوأ وأخبث من هذا العمل ؟؟

وظاهرة الطعن في القرآن تمر في التاريخ قديما وحديثا، فابتدأت منذ بداية نزوله، إذ تداعى خصومه فيما بينهم واجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه، قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر. وقال آخرون: ساحر. وقال آخرون: كاهن. وقال آخرون: مجنون.[12]

واختلف الخصوم في لقب هذا الكلام المعجز اختلافا شديدا وتناقضا عجيبا. قال تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ أي أن الخصوم من زعماء قريش وغيرهم حينما كذبوا بالقرآن ولم يقدر على أن يحدد حال القرآن، هل هو شعر أو هو سحر أو غير ذلك فإنهم في أمر مريج، قيل معناه: التبس الأمر فيهم، وقيل: اختلط الأمر، والآخر: في أمر ضلالة، وقال قائل: منكر. ولكن الإمام الطبري لا يرى أن مثل هذه الأقوال متضادة بل متقاربة، قال الطبري: وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت الفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكرا، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شكّ ضلالة، لأن الهدى بين لا لبس فيه.[13]

ثم بعد ذلك وجدنا أن النصارى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اشتركوا في إثارة الشبهات حول القرآن الكريم وطعنوا فيه، كما رواه الإمام مسلم في قصة المغيرة بن شعبة حينما قدم نجران، فهؤلاء النصارى في تلك المنطقة قالوا افتراءات كاذبة في قضية (يا أخت هارون)[14].

وأما أول من كتب لأجل الطعن في القرآن هو يوحان الدمشقي حين ألف كتابا بعنوان "حياة محمد"، وقال فيه أن الإسلام فرقة مسيحية مارقة، ظهرت في عهد الإمبراطور هرقل، بفعل متنبئ من العرب يدعى حامد (محمد). ثم ظهرت كتابات المستشرقين التي لبست لباس النقد العلمي للقرآن الكريم، وأقدم ما عرف من نشاطات

---

[12] تفسير القرآن الكريم ت السلامة، ابن كثير، دار الطيبة للنشر والتوزيع، 1999م ج8 ص267.

[13] جامع البيان للطبري، دار التربية والتراث – مكة المكرمة ج22 ص331.

[14] راجع الحديث: في صحيح مسلم باب النهي عن التكني بأبي القاسم 213.

المستشرقين؛ دراسة استشراقية بعنوان "ماذا اقتبس محمد عن اليهودية؟" للمؤلف (Abraham Geiger) أبراهام جايجر.[15]

وهناك كتب أخرى وهي من أوائل الدراسات الإستشراقية التي تهدف إلى الطعن حول القرآن الكريم، ومن هذه الكتب: تاريخ القرآن للمؤلف ثيودر نولدكه (Theodor Noldeke) عام 1375هـ/1859م، وكتاب تاريخ النص القرآني للمؤلف إجناس جولد زيهر (Ignaz Goldtziher) عام 1276هـ/1870م، وكتاب مصادر الإسلام للمؤلف وليم موير(William Muir) عام 1318هـ/ 1901م، ومقالة "القرآن" في المجلة الشرقية الألمنية للمؤلف فلهازن (Vellhazen)، وكتاب مصادر تاريخ القرآن للمؤلف آرثر جيفري (Arthur Geoffrey).[16] انتهى

وهذه الجهود العلمية -إن صح التعبير- التي لبست لباس النقد يشهدها التاريخ من قبيل الطعن للقرآن والطعن لقضايا حوله، واستمر حتى الآن مثل هذه النشاطات التي في حقيقتها تهدف إلى الطعن للقرآن الكريم بل بعض أبناء المسلمين قد اشتركوا في تلك النشاطات، الله المستعان.

المبحث الثاني: عرض الشبهة ونقدها عند الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن

يعد كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني أول كتاب في علوم القرآن في العصر الحديث، وهو كتاب على منهج جامعي يُدرس في جامعة الأزهر الشريف، ومن خصائص هذا الكتاب أنه يعالج بعض القضايا التي تتعلق بالشبهات في علوم القرآن لا سيما شبهات حول الوحي ومصدريته التي ألقاها أعداء القرآن .

ومن مناهج الزرقاني في رد الشبهات أنه لم يعزها إلى قائل الشبهات بعينه، إلا أننا قد عرفنا أن هذه الشبهات جاءت من لسان الملاحدة لكثرة ذكر المؤلف اسمها، كقوله: كما يقول الملاحدة.[17] ومن هذه الشبهات كما تلي:

المبحث الأول: القرآن غير مرتب ولا منظم

ومن الشبهات التي عالجها الزرقاني هي شبهة القول بأن القرآن الذي يدعوه المسلم أنه من عند الله، في الحقيقة أنه ليس من عند الله لأن القرآن -كما يزعمه الخصوم- لم يأت مرتبا ولا منظما، فلم يفرد كل غرض من

---

[15] انظر: علم الانتصار للقرآن، د. عبد الرحيم عمر الشريف، مجلة التبيان العدد 13، الرياض، 1434هـ، ص22.

[16] انظر: علم الانتصار للقرآن، د. عبد الرحيم عمر الشريف، مجلة التبيان العدد 13، الرياض، 1434هـ، ص25.

[17] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن حزم-بيروت، 2017م، ص66.

أغراضه بفصل أو باب شأن سائر الكتب المنظمة. بل مزجت أغراضه مزجا غير مراعى فيه نظام التأليف فيبعد أن يكون وحيا من الله. وهذه الشبهة ولو كانت منتشرة في القرن الرابع عشر الهجري لكنها موجودة منذ القرن الرابع الهجري، فنحن وجدنا مثل هذه الشبهة في كتب الإعجاز مثل كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي[18].

رد الزرقاني على هذه الشـــبهة بالبراهين القوية جدا لأنه يبين أن مثل هذا الترتيب القرآني دليل على أنه ليس من الكتب الوضـعية البشـرية بل إنه من عند الله، قال الزرقاني: (أن مخالفة القرآن لأنظمة الكتب المؤلفة لا تعتبر عيبا فيه ولا في وحيه وموحيه بل هي على العكس دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري يجلس إليه واضعه من الناس فيجعل لكل طائفة من معلوماته المتناسبة فصلا ولكل مجموعة من فصوله المتناسقة بابا بل هو مجموع إشراقات من الوحي الإلهي الأعلى. اقتضتها الحكمة ودعت إليها المصلحة..... وهنا دقيقة أحب ألا تعزب عن علمك. وهي أن هذا الروض الرباني اليانع القرآن الكريم يقوم بين جمله وآيه وســوره تناســب بارع وارتباط محكم وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصا إذا لاحظنا نزوله منجما على السنين والشهور والأيام)[19].

واستشـهد الزرقاني أقواله بكلام نفيس للإمام الرازي: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحســب أســلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفســرين معرضــين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل: والنجم تســتصــغر الأبصــار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر)[20].

المطلب الثاني: الوحي هو أعراض لمرض معين عند النبي صلى الله عليه وسلم

هناك شبهة عجيبة جدا لا يعقلها الرجل المنصف، وهي الشبهة بأن القرآن ليس إلا أعراض للمرض التي أصيب بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسمى بالهستريا.

فأجاب الزرقاني بإجابة شافية مرضية، بحيث إن التاريخ لم يشهد ذلك الأمر، قال الزرقاني:(أن هذه فرية تدل على جهلهم الفاضح بمحمد صلى الله عليه وسلم. فالمعروف عنه بشهادة التاريخ الصحيح والأدلة القاطعة أنه كان وديعا صبورا حليما بل كان عظيم الصبر واسع الحلم فسيح الصدر حتى إنه وسع الناس جميعا ببسطه

---

[18] بيان اعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن حققها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغول سلام، دار المعارف القاهرة ص27.

[19] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن حزم-بيروت، 2017م، ص62.

[20] مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420هـ، ج7 ص106-107.

وخلقه. وكان شجاعا مقداما سليم الجسم صحيح البدن، حتى إنه صارع ركانة المشهور بشجاعته فصرعه وكان يثبت في الميدان حين يفر الشجعان ويفزع الخلق ويشتد الأمر ويقول: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب").

بل إن النبي بعيد عن ما يتهمونه من الهســـستريا ولا يتفق تماما لا من قريب ولا من بعيد، قال الزرقاني: (ولو أفضنا في هذا الموضوع لطال بنا الكلام ولكن موضوعه كتب السيرة والشمائل المحمدية فارجع إليها إن شئت أما مرض الهستريا الذي يصمونه كذبا به فهو داء عصبي عضال أكثر إصاباته في النساء. ومن أعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس واضطراب في الهضم. وقد يصل بصاحبه إلى شلل موضعي ثم إلى تشنج ثم إلى إغماء ثم إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين وقفز من مكان إلى مكان. وقد يزعم المصاب أنه يرى أشباحا تهدده وأعداء تحاربه أو أنه يسمع أصواتا تخاطبه على حين أنه لا وجود لشيء من ذلك كله في الحس والواقع فهل يتفق ذلك وما هو معروف عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم من أنه كان أمة وحده في أخلاقه وثباته وحلمه وعقله ورباطة جأشه وسلامة جسمه وقوة بنائه؟. ثم كيف يتفق ذلك الداء العضال الذي أعيا الأطباء وما انتدب له محمد صـــلى الله عليه وســـلم من تكوين أمة شموس أبية وتربيتها على أسمى نواميس الهداية ودســـاتير الاجتماع وقوانين الأخلاق وقواعد النهضـــة والرقي؟. أضـــف إلى ذلك أنه نجح في هذه المحاولة المعجزة إلى درجة جعلت تلك الأمة بعد قرن واحد من الزمان هي أمة الأمم وصاحبة العلم وربة السيف والقلم.

فهل المريض المتهوس الذي لا يصلح لقيادة نفسه يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش؟.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم) .[21]

المطلب الثالث: إن القرآن كلام محمد الذي نسبه إلى ربه

ومن أخطر الشـــبهات التي ألقاها الخصـــوم هي ادعاء أن القرآن هو كلام محمد نســـبه إلى ربه ليســـتمد قدسيته من هذه النسبة. وإعجاز القرآن جاء من ناحية أن محمدا كان الفرد الكامل في بيانه بين قومه لذلك جاء قرآنه الفرد الكامل أيضـا بين ما جاء به قومه ولم يستطيعوا لهذا الاعتبار وحده أن يأتوا بمثله شـأن الرجل الفذ بين أقرانه في كل عصر .

والجواب ســـهل عند الشـــيخ الزرقاني، لأن كل من أوتي حظا من حس البيان وذوق البلاغة يفرق بين أسـلوب القرآن وأسـلوب الحديث النبوي فرقا كبيرا يمثل الفرق الكبير بين مقدور الخالق ومقدور المخلوق. وأيضـا نعلم من التاريخ أن القرآن لو كان مصـدره نفس محمد كما يقول أولئك الملاحدة لأمكن هؤلاء العرب البارزين في البيان أن يعرفوا أنه كلامه بما أوتوا من ملكة النقد وما وهبوا من نباهة الحس والذوق ثم لأمكنهم أن يجاروه ولو شـــوطا قريبا إن لم يمكنهم مجاراته شـــوطا بعيدا. لا ســـيما أن القرآن قد اكتفى منهم في معرض التحدي بأن يأتوا

[21] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن حزم-بيروت، 2017م، ص63.

بسورة من مثل أقصر سورة أي بمثل ثلاث آيات قصار من بين تلك الآلاف المؤلفة التي اشتمل عليها الكتاب العزيز. وأنت خبير بأن هؤلاء لم تكن لتعييهم تلك المساجلة وهم فرسان ذلك الميدان. وأئمة الفصاحة والبيان لو كان الأمر من صناعة محمد صلى الله عليه وسلم وإنشائه. كما يزعم أولئك الخراصون فما بالك وقد خرست ألسنتهم وخشعت أصوات الأجيال كلها من بعدهم.

وأجاب أيضا الزرقاني [22] على الإفتراض الآخر، أن القرآن لو كان مصدره نفس محمد لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه. ولأمكن أن يدعي به الألوهية فضلا عن النبوة. ولكان مقدسا في نظر الناس وهو إله أكثر من قداسته في نظرهم وهو نبي ولما كان في حاجة إذا إلى أن يلتمس هذه القدسية الكاذبة بنسبته القرآن إلى غيره {فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} ؟؟

وتتولد من هذه الشبهة القول بأن النبي له ضربان من الكلام، أحدها أحدهما يحتفل به كل احتفال ويعنى مزيد العناية بتهذيبه وتنميقه وتحضيره وذلك هو ما سماه بالقرآن ونسبه إلى الله. وثانيهما يرسله إرسالا غير معني بتحبيره وتحريره وهو المسمى بالحديث النبوي. وهذا لا يعقل تماما لا من قريب ولا من بعيد. فالشيخ الزرقاني يوجه هذه الشبهة بالحجة التاريخية لأن التاريخ يشهد بأن القرآن نفسه منه ما هو نزل منه ما نزل مفاجأة على غير انتظار وتفكير وبدون تلبث وتدبير وهو أكثره. ومنه ما نزل بعد تشوف واستشراف وطول انتظار وهو أقله. ومع هذا فأسلوبه الأعلى هو أسلوبه الأعلى ونظمه المعجز هو نظمه المعجز في الحالين على سواء .[23]

المبحث الثالث: عرض الشبهة ونقدها عند مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح

إذا كنا نطلع على كتاب مباحث في علوم القرآن، وجدنا أن الدكتور صبحي صالح في خاتمة الفصل الثاني من الباب الأول، وذلك حديثه عن ظاهرة الوحي، قد نبهنا بأنه قد عالج القضايا حول الوحي وشبهته بمختلف العصور لا يقتصر على شبهات القرن الرابع عشر الهجري فحسب، قال د. صبحي صالح: (وبعد، فقد آثرنا أن نعالج ظاهرة الوحي المعجز بمثل ما عالجها به القرآن من التأثير المقنع، فلجأنا إلى الزاوية النفسية، ودرسنا من خلالها الفرق العظيم بين ذات الخالق وشخصية المخلوق، وبين صنعة الخالق وصنعة المخلوق، وتجنبنا التعقيد والجدل العقيم، وحاولنا ألا نقرب حقائق الغيب العليا بما يعرفه الناس عن التنويم "المغناطيسي" وتسجيل الأصوات على الأشرطةوإذاعتها أو نقلها عن طريق الهاتف واللاسلكي، وظننا أن لا جدوى من هذه الأشياء وأنها ليست

[22] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن حزم-بيروت، 2017م، ص66.

[23] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن حزم-بيروت، 2017م، ص68.

هي طريق الإيمان، ونحسب أننا قد انتهينا إلى النتيجة التي توخيناها، فأدرك القارئ معنا أن الرسول الكريم تلقى الوحي بحواسه كلها ومشاعره كلها، واعيا كل الواعي أنه عبد الله ورسوله الأمين)[24].

فلذلك نحاول في هذا المبحث أن نختار بعض آراء الدكتور صبحي الذي له تعلق بالقرن الرابع عشر الهجرس فحسب، وبالله العون والتوفيق:

المبحث الأول: كان القرآن أمرًا شخصيًا ذاتيًا

هناك شبهة عالجها د. صبحي صالح التي انطلقت من تهافت الفهم في علم النفس المحدثة، وهذه الشبهة تقول بأن القرآن يكون ثمرة من ثمار الكد والجهد أو أثرا من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل، فلا ينشئ في النفس يقينا كاملا ولا شبه كامل، بل يظل أمرا شخصيا ذاتيا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى.

فأنكر د. صبحي صالح هذه الإفتراءات، وذكر بأنها جاء من رجل جاهل بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم. وبين د. صبحي بأن كشف العارفين كإلهام الواصلين وجدان تعرفه النفس معرفة دون اليقين، وتنساق إليه من غير شعور بمصدره الحقيقي، فيدخل فيه ذوق المتذوقين ووجد المتواجدين، بل تدخل فيه أيضا أسطورة آلهة الشعر عند اليونان وأسطورة شياطين الشعر عند العرب الجاهليين!.

ولا غرو، فإن الكشف كالإلهام من ألفاظ علم النفس المحدثة التي ما تبرح حتى عند القائلين بها موغلة في الإبهام، لاحتلالها "حاشية اللاشعور"، وهي حاشية –كما يوحي اسمها– أبعد ما تكون عن حالات الحس والشعورفإذا قيل في إنسان: إنه من أولي الكشف والإلهام لم يسم به ذلك إلى درجة النبوة والوحي، لأن في كل وحي وعيا1، وفي كل نبوة شعورا بمعناها وإدراكا لمغزاها، وإنما يرمى "باللاوعي" من فقد الوعي، ويوصم "باللاشعور" من حرم الشعور!

وطبيعة الحقائق الدينية والأخبار الغيبية في ظاهرة الوحي تأبى الخضوع لهذه الأساليب "اللاشعورية" التي تستشف حجاب المجهول بالفراسة الذكية الخفية والحدس الباطني السريع. مثلما تأبى الخضوع لمقاييس الحس الظاهرة التي تخترق حرمات المجهول بالأدلة المنطقية والاستنباط المتروي البطيء، وإنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية، وذات مخاطبة مأمورة متلقية[25].

---

[24] مباحث في علوم القرآن، د. صبحي صالح، دار العلم للملايين- بيروت، 2014م، ص47-48.

[25] مباحث في علوم القرآن، د. صبحي صالح، دار العلم للملايين- بيروت، 2014م، ص28-29.

وزاد د. صبحي صالح التوضيح بأن القرآن نفسه يوضح علاقة النبي –الذي هو الإنسان– بربه، فقال: (إن صورة محمد صلى الله عليه وسلم، في القرآن هي صورة العبد المطيع، الذي يخاف عذاب ربه إن عصاه، فيلتزم حدوده، ويرجو رحمته، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله)[26]. فلا يعقل إذن أن نقول إن القرآن ليس من عند الله عز وجل.

المبحث الثاني: أن يكون أحد من البشر قد علّم النبي القرآن

وهناك أيضا من أحمق الشبهات وهي القول بأن القرآن قد علّمه أحد النبيَ صلى الله عليه وسلم، وهذه الشبهة كما ترى من أكثر الشبهات انتشارا بين يدي أبناء المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، لكن في الحقيقة هذه الشبهة قد خالفت التاريخ بل القرآن الكريم أجاب على هذه الشبهة بإجابة مقنعة كما بين ذلك د. صبحي صالح: بيد أن طائفة من العرب افترضوا أن يكون أحد من البشر قد علم النبي القرآن، فالتمسوا مصدر الوحي خارج الذات المحمدية، ولم يجرءوا –وهم الأميون– على دعوى تعلمه من أحد منهم، فقد أدركوا بالفطرة أن الجاهل لا يعلم الناس شيئا، وإذا هم يهتدون إلى معلم لمحمد، فمن كان ذاك المعلم الكبير، والمرجع العلمي الخطير؟ غلامًا روميًا أعجميا نصرانيًا يشتغل في مكة قينا "حدادا" يصنع السيوف، وكان –على عاميته– ملما بالقراءة والكتابة ولو لم يعلم الكتاب إلا أماني، وربما بدا للنبي أحيانا أن يقف عليه يشاهد صنعته، فما أنسبها فرصة ليقول العرب الأميون: هذا هو معلمه "إنما يعلمه بشر" وما أنسبها فرصة ليرد القرآن على أحلامهم الطائشة هذا الرد البديهي المتوقع، والمؤثر المقنع: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}.

فلما أسقط في أيديهم، ووجدوا أن لا قبل لهم بتعيين معلم محمد، آثروا أن يرفعوا دعواهم ضد مجهول، {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} 2.وبهذا رسم العرب الأميون المنهج لمن بعدهم من ملاحدة المثقفين لينطلقوا من دعواهم هذه إلى محاولة تعيين الذي أملى على محمد حقائق الدين وفلسفة التاريخ: فرأى قوم أنه راهب اسمه بحيرا من أتباع آريوس في التوحيد لقيه النبي في طفولته في سوق بصرى بالشام خلال رحلته مع عمه أبي طالب، ورأى آخرون أنه ورقة بن نوفل من العلماء بالنصرانية ومن أقارب السيدة خديجة لقيه في مكة على أثر نزول الوحي عليه أول مرة.

وكل الذي صح في أمر هذين الرجلين أن الرسول لقي أولهما بحيرا وهو ابن تسع سنين، وقيل: ابن اثني عشرة مرة واحدة، وكان معه عمه أبو طالب، وقال هذا الراهب لعمه: سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم؛ وأنه عليه الصلاة والسلام لقي الثاني ورقة عقب إخباره خديجة بما رآه في غار حراء، فقد انطلقت به إلى ورقة، وكان

[26] مباحث في علوم القرآن، د. صبحي صالح، دار العلم للملايين– بيروت، 2014م، ص29.

شيخا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم اسمع من ابن أخيك: فقال له ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس -أي: أمين الوحي- الذي نزل الله على موسى. ولم يلبث ورقة أن توفي.

حسبنا -لتفنيد هذين الزعمين- أن نتذكر أن النبي الكريم لم يلق الرجلين سرا في خفاء، بل كان معه في كل مرة رفيق، فقد شهد أبو طالب لقاءه لبحيرا، وشهدت خديجة لقاءه لورقة، فما عسى أن يكون النبي تعلم في هذين اللقاءين من علوم الغيب والتاريخ؟

ولا حاجة بنا إلى تجشيم أنفسنا عناء الرد على مبالغات بعض المستشرقين حول كثرة اليهود والنصارى بمكة، فقد رد عليهم من بينهم باحثون منصفون أكدوا أن من الحمق التهويل في هذا الشأن ما دام الرسول الكريم لم يلق أحبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولم يثبت اتصاله بهم.

وأهون من هذا كله ما يعرض به الشكاكون المرتابون إلى القوافل التجارية في رحلتي الشتاء والصيف، وما كانت تحمله -بزعمهم- من أخبار الأمم الماضية وقصص الملل الخالية: فما عهدنا تجار العرب يعنون بلقاء الأحبار ومجالسة رجال "اللاهوت"2. أما محمد نفسه فلم يذهب إلى الشام إلا مرتين: أولاهما في طفولته مع عمه كما أسلفنا، والأخرى في تجارة لخديجة وهو شاب وكان بصحبته ميسرة غلام خديجة، ولم يتجاوز عليه الصلاة والسلام سوى مدينة بصرى في كلتا الرحلتين القصيرتين، فأين يذهب العقلاء بعقولهم؟ وأنى يؤفكون؟

بعد أن وضح النهار لذي عينين، لم يكن بد من أن يسفه القرآن تلك الأحلام الطائشة جميعا، ويقول بلهجة قاطعة حاسمة،: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[27].

المبحث الرابع: عرض الشبهة ونقدها عند الدكتور فضل حسن عباس في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن.

كتاب إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل عباس وإن كان يُكتب في القرن الخامس عشر الهجري، لكن القضايا التي عالجها الكتاب هي نفس القضايا التي جاءت في القرن الرابع عشر الهجري. وهذا الكتاب يُدرس-منذ عقود عديدة- في عدد من الجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية خاصة على مستوى الدراسات العليا، والدكتور فضل في مبحثه عن مصدرية القرآن والشبهات حولها، كان يضع من افتراض أمرين، فإما أن تكون الشبهة قيل أن يكون النبي اكتسبه من غيره، وإما أن يكون ناتجا عن تأملاته الشخصية، وخواطره

[27] مباحث في علوم القرآن، د. صبحي صالح، دار العلم للملايين- بيروت، 2014م، ص46.

الفكرية، وسبحاته. وربما د. فضل أفاد ممن سابقوه كالزرقاني أو صبحي صالح، ولكنه جاء بأكثر من تدقيق وتفصيل وتمحيص.

فقبل أن نأتي بافتراضات التى أبطلها د. فضل عباس، أريد أن أذكر أن د. فضل يبدأ انتقاداته مما جاء في الموسوعة البريطانية Britanica نصا كما هو مكتوب، ذكر في الموسوعة: إن المستشرقين الذين قاموا بتحليل محتويات القرآن استخلصوا بأن كثيرا من المادة القصصية والمذكور فيها أشخاص وحوادث في التوراة، هي غير مشتقة من التورة بل من مصادر نصرانية ويهودية متأخرة. كما أن أوصاف يوم القيامة والجنة هي موضوعات تتفق مع تعاليم الكنيسة السريانية المعاصرة. وأن الإعتماد على نقل هذه المعلومات لم يكن اعتمادا حرفيا، بل أخذ من آثار شفهية.انتهى

فمن هذه العبارة وجدنا بعض الشبهات التى ألقتها الموسوعة البريطانية كما ذكرت أن القرآن يعتبر بعضه منقولا من مصادر وضعية كالمعارف اليهودية والنصرانية، وهذا هو لب دراستنا. وعلما أن الموسوعة جاءت بشبه أخرى التي أجابها د. فضل عباس بإجابة شافية مرضية في كتابه قضايا قرآنية نقد مطاعن ورد شبهات[28] لكن ليس هنا محلها لأنها لا تتعلق بشبهات حول مصدرية القرآن، فليطلع ذلك الكتاب على من يريد المزيد.

فأما ما ذكر د. فضل عباس من بعض الافتراضات كما تلي:

المطلب الأول: اكتسابه من غيره

كان د. فضل يرى أن هناك خمس احتمالات في هذه الشبهة؛

أولا: أن يكون المجتمع الذي عاش فيه النبي هو مصدر القرآن. فأجاب د. فضل بأنه لا يمكن عقلا وشرعا وتاريخيا، لأن الآيات القرآنية تشهد أن أحوال هذا المجتمع لا يتفق مع مضامين القرآنية عبودية كانت أو أخلاقية وغير ذلك[29].

فمن الآيات التي تنعكس حياة المجتمع الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية عبودية أنها مجتمع شركي وثني بخلاف ما جاء به القرآن الذي يأمر بعبادة الله وحده:

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾

[28] طبع هذا الكتاب مطبع دار البشير للنشر والتوزيع سنة 1407 هـ

[29] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النفائس-عمان، 2021م، ص74.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾

وأما حياة ذلك المجتمع من حيث الأخلاق فإنهم يبيحون قتل الأولاد والبنات ورعاية الظلم وعدم العدل للناس وكانت عندهم شهادة الزور وغير ذلك وهذه كلها تخالف القرآن تماما لأن القرآن يأتي بمعالي الأخلاق من العدل والرحمة والصدق والأمانة، ذكر الله تعالى محاكيا أحوالهم:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾

فكيف يمكن أن يقال أن القرآن لم يأت إلا اقتباس من عادات وتقاليد المجتمع الذي عاش فيه النبي؟؟

وأيضا أن التاريخ لم يشهد بذلك، فإن التاريخ يقول بأن العرب قبل القرآن ليس لهم اهتمامات مثل اهتمامات القرآن بل كانو يهتمون بالأشعار فحسب. فلذلك وجدنا أنهم يحتفلون ذلك في أسواقهم، وكان دستورهم "انصر أخاك ظالما أومظلوما"، حتى جاء الإسلام، فغير هذه التقاليد القبيحة.

ثانيا: أن يكون القرآن مكتسبا من اليهود والنصارى. وهذا الاحتمال رده القرآن، لأن في مكة هناك عدد من اليهود الذين اضطرتهم ظروف الحياة للعمل ليقوموا ببعض الحرف. فأنكر د. فضل بالسؤال: أيعقل أن يكونوا هم مصدر القرآن؟؟ فهل ثبت أن النبي كثير التردد إلى هؤلاء؟؟ وعلى هذا، فهذا احتمال لا يثبت أمام قواعد القعل.

ثالثا: لم لم تكن التوراة والإنجيل الأساس لهذا القرآن؟ فالجواب سهل عند د. فضل، لأن الكتابان لم يترجما إلى العربية ترجمة كاملة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا هناك اختلاف جوهري بين القرآن وبين الكتب ما قبله، صحيح أن هناك اتفاق بين هما، لكن في بعض القضايا مثل القصص والأخلاق فإن الاختلاف بينهما واضح جدا، فلا يمكن أن يكون النبي أخذ القرآن من الإنجيل أو التوراة.

رابعا: أن يكون اكتسبه من رحلاته. وهذا أيضا مردود لأن النبي كان يذهب إلى الشام في صغره.

وخامسا: أن يكون مثأثرا بالبيئة الشرقية: الزرادتشية أو الصابئة، فأجاب د. فضل بأن هذا الاحتمال فأنه مجرد نمحل وتكلف لمجرد اتفاق في جزئية أو جزئيتين، والصحيح أن بينهما اختلاف كبير جدا في المضامين والموضوعات[30].

المطلب الثاني: أن يكون القرآن منه صلى الله عليه وسلم

والافتراض الثاني الذي ألقاه عدد من المسترقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأجاب د. فضل بالحجج القوية. فإن التاريخ ثبت أن النبي كان لا يعرف القرآءة والكتابة، ولو كان هناك زعم الزاعمين الذين قالوا أن النبي يعرف القرآءة والكتابة، فهذا لا يثبت في الحقيقة.

وأيضا كانت تنزل به نوازل ومع ذلك يبقى أياما وليالي ينتظر، فإذا كان القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا لا يقول النبي آيات جديدة بدون انتظار؟؟ وهذا لا يعقل. وأيضا هل يعقل إذا كان القرآن من النبي، والقرآن يخطئ النبي صلى الله عليه وسلم؟؟

والعجيب أن النبي كان يسرع في حفظ القرآن حين حمل إليه جبريل، فإذا كان القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا النبي صلى الله عليه وسلم يتعب ليحفظ القرآن؟؟[31]

وهذا بعض آراء د. فضل في نقد شبهات القرن الرابع عشر الهجري، ولو كان هناك كثير من أقواله لم نكتبها في هذا البحث لكثرتها، لأن هذا البحث هو بحث مختصر، والله تعالى أعلم.

---

[30] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النفائس-عمان، 2021م، ص83.

[31] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النفائس-عمان، 2021م، ص92.

النتائج

1. تبرز هذه الدراسة، أن شبهات القرن الرابع عشر الهجري ليس لها قيمة علمية قوية بل أبطلها العلماء بنقده.
2. من أسباب إثارة هذه الشبهات هي سبب الجهل بالقرآن وسبب الطعن في القرآن، وهذا واقع في العالم الإسلامي.
3. من كتب علوم القرآن المعاصرة التي عالجت قضايا الشبهات حول مصدرية القرآن؛ كتاب مناهل العرفان للزرقاني، ومباحث في علوم القرآن لصبحي صالح، وإتقان البرهان للمؤلف فضل حسن عباس.
4. إن شبهات القرن الرابع عشر الهجري حول مصدرية القرآن بعضها جاءت من زمن بعيد، بل بعضها منذ القرن الرابع الهجري، وبعضها نشأت من جديد.
5. أغلب الشبهات في هذا القرن جاءت من لسان المستشرقين والملاحدة.
6. كانت الشبهة لها افتراضين: الافتراض الأول أن القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وتتشعب من هذا الافتراض مساءل كثيرة.
7. والافتراض الثاني أن القرآن اكتسبه النبي من الآخر، وأيضا تتشعب من هذا الأمر مسائل وقضايا كثيرة
8. أن ما كتبه العلماء المعاصر مشكورين ومأجورين إن شاء الله، لأنها كانت إجابة كافية شافية تنجح في سد الثغرات ولا يستطيع الخصوم أن يدخل في هذا الباب.

المراجع

أبو سليمان الخطابي. *بيان إعجاز القرآن؛ ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز*. القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ.

أحمد بن حنبل. *الرد على الجهمية والزنادقة*. دار الثبات للنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

إسماعيل بن عمربن كثير أبو الفداء. *تفسير القرآن الكريم*. دار الطيبو للنشر والتوزيع، 1999م.

بن أبي حاتم الرازي. *الجرح والتعديل*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1952م.

د. صبحي صالح. *مباحث في علوم القرآن*. بيروت: دار العلم للملايين، 2014م.

د. عبد الرحيم عمر الشريف. "علم الإنتصار للقرآن." *مجلة التبيان*، 1434هـ: 22.

د. فضل حسن عباس. *إتقان البرهان في علوم القرآن*. عمان: دار النفائس، 2021م.

——. *التفسير اساسيته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث*. عمان: دار النفائس، 2016م.

محمد بن جرير الطبري. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، بلا تاريخ.

محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

محمد عبد العظيم الزرقاني. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت: دار ابن حزم، 2017م.

محمود بن عمر بم محمد الزمخشري. *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

مسلم بن قتيبة الدينوري. *تأويل مشكل القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.